تفاسير سورة (النجم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

الحزب ٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

* تفسير تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (ت 774 هـ) مختصر_قدرى_

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق،
واختلف المفسرون في معنى قوله وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى
عن مجاهد : يعني بالنجم الثريا إذا سقط مع الفجر
وقال الضحاك : وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ إذا رمى به الشياطين،
وعن مجاهد : في قوله تعالى وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ يعني القرآن إذا نزل، وهذه الآية كقوله تعالى:
فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ ٱلْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ الواقعة 75 ـــ 80 وقوله تعالى مَا ضَلَّ صَـٰحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ هذا هو المقسم عليه،
وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال
فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال
، وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو، صلاة الله وسلامه عليه، وما بعثه به من الشرع العظيم، في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ أي إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً،
من غير زيادة ولا نقصان.
وقال الإمام أحمد:

عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش،
فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب،
فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ

فقال " اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق "

عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

"ما أخبرتكم أنه من عند الله، فهو الذي لا شك"

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال

" لا أقول إلا حقاً "

قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا يا رسول الله؟

قال " إني لا أقول إلا حقاً"

---

* تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري (ت 310 هـ) مختصر_قدرى

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: والنَّجْمِ إذَا هَوَى فقال بعضهم: عُنِي بالنجم: الثُّريا،
وعُنِي بقوله: إذَا هَوَى : إذا سقط، قالوا: تأويل الكلام: والثريا إذا سقطت .
، عن مجاهد، قوله: وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى قال: إذا سقطت الثريا مع الفجر.
وقال مجاهد: وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى قال: سقوط الثريا.
عن ابن عباس، قوله: وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى قال: إذا انصبّ .
عن مجاهد، في قوله: وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى قال: القرآن إذا نزل.
عن قتادة أن النبيّ ﷺ تلا: وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى فقال ابن لأبو لهب:
كفرت بربّ النجم، فقال النبيّ ﷺ:

" احْذَرْ لا يَأْكُلْكَ كَلْبُ اللّهِ "

قال: فضرب هامته قال: وقال ابن طاوس عن أبيه، أن النبيّ ﷺ قال:

" أَلاَ تخافُ أنْ يُسَلِّطَ اللهُ عَلَيْكَ كَلْبَهُ؟ "

فخرج ابن أبو لهب مع ناس في سفر حتى إذا كانوا في بعض الطريق سمعوا صوت الأسد، فقال: ما هو إلا يريدني، فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه في وسطهم، حتى إذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم.

وقوله: ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى يقول تعالى ذكره: ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحقّ ولا زال عنه، ولكنه على استقامة وسداد ويعني بقوله: وَما غَوَى : وما صار غويًّا، ولكنه رشيد سديد

يقال: غَوَى يَغْوِي من الغيّ، وهو غاوٍ، وغَوِيَ يَغْوَى من اللبن: إذا بَشِم

وقوله: ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ جواب قسم. .

تفسير تفسير القرآن/ التستري (ت 283 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ

قوله تعالى: وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ 1 يعني ومحمد ﷺ إذا رجع من السماء.

---

* تفسير حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ

قال ابن عطاء رحمة الله عليه: أقسم بنجوم المعرفة وضيائها وتجليها ونورها والاهتداء بها

قال جعفر: هو محل التجلى والاستتار من قلوب أهل المعرفة

عن جعفر بن محمد رضى الله عنهم فى قوله: وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ أسرح منه الأنوار..

وَٱلنَّجْمِ قلب محمد ﷺ إِذَا هَوَىٰ انقطع عن جميع ما سوى الله عز وجل.

---

* تفسير لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ

والثريا إذا سقط وغرب ويقال: هو جِنْسُ النجوم أقسم بها

ويقال: هي الكواكب ويقال: أقسم بنجوم القرآن عَلَى النبي ﷺ ويقال هي الكواكب التي تُرمَى بها الشياطين
ويقال أقسم بالنبي ﷺ عند مُنْصَرفهِ من المعراج
ويقال: أقسم بضياء قلوب العارفين ونجوم عقولِ الطالبين
وجوابُ القسَم قوله: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ : أي ما ضَلَّ عن التوحيد قط، وَمَا غَوَىٰ : الغَيُّ: نقيضُ الرُّشد وفي هذا تخصيصٌ للنبي ﷺ حيث تولّى - سبحانه - الذّبَ عنه فيما رُميَ به، بخلاف ما قال لنوح عليه السلام وأذِنَ له حتى قال: لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ الأعراف: 61، وهود قال: لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ الأعراف: 67
وغير ذلك، وموسى قال لفرعون: وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يٰفِرْعَونُ مَثْبُوراً الإسراء: 102
وقال لنبينا ﷺ: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ : معناه ما ضلَّ صاحبُكم،
ولا غَفَل عن الشهود طَرْفَةَ عينٍ.

---

* تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ

أقسم الله بالنجم وذلك النجم إلهام قلوب الملهمين حين يسقط من صحائف الغيوب إلى معادن القلوب
وأيضاً .. أى بانوار تجلى جماله وجلاله إذا وقع على أرواح العاشقين .
وأيضاً .. بألحان بلابل علومه اللدنية التى تترنم بحقائق ما كنز الحق فى كنوز القدم إذا جلست على أغصان ورد بساتين أسرار العارفين فتكلموا وأخبروا بها من مكنون غرائب علوم الصفات والذات.
وأيضاً .. أى بواردات الجذبية التى تبدو بأنوارها من الغيوب لفهوم المحبين وتسقط على أسرار الواصلين وتزعجها إلى مشاهدة رب العالمين حقايقها المواجيد والحالات والكشف والمشاهدات.
وأيضاً .. أى بالأرواح العاشقة الشائقة إذا صعدت إلى ملكوت الغيب ويسقط إلى بحر جبروت الرب وتحمل مياه حياة القدم من بحر البقاء وتاتى سكرى إلى معادن الأشباح وتتضوع نفحاتها فى بساتين العقول ورياض القلوب .
وأيضاً .. بما نبت فى بساتين قلوب الأولياء من عجائب أصناف ازهار الحكم والمعارف والعلوم والفهوم أى بهذه المقسمات الشريفة والنيرات الواضحة ما ضل حبيبى عني لمحة وما احتجب بشئ دوني لحظة وما اعوج عن طريق إستقامته قط وذلك قوله مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ .
وأيضاً .. ما ضل عنى بى فى ميادين عظمتى حيث لا يدرى الموحدين هو هو كان عالما بى بحيث سلك وما غوى ما ستر بما وجد منى فيشتغل به عنى.
قال ابن عطا : أقسم بنجوم المعرفة وضيائها وتجليها ونورها والاهتداء بها وسكون العارفين إلى أنوارها وسلوكهم بالاهتداء بها .
وقال جعفر: هو محل التجلى والاستتار من قلوب أهل المعرفة .
وقال جعفر بن مُحَمَّد الصادق : النجم مُحَمَّد ﷺ اذا هوى انشرح منه الأنوار.
وقال أيضا : قلب مُحَمَّد ﷺ إذا هوى إذا انقطع عن جميع ما سوى الله عز وجل..
وقال أيضا : ما ضل عن قربه طرفة عين .
وقال ابن عطا : ما ضل عن الرؤية طرفة عين.
وقال سهل : ما ضل عن حقيقة التوحيد قط ولا اتبع الشيطان بحال.
وقال الشبلى : ما رجع عنا منذ وصل إلينا.

---

* تفسير تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ *

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ *

وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ *

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ

والنَّجم إذا هوى أقسم بالنفس المحمدية إذا فنيت وغربت عن محل الظهور
وسقطت عن درجة الاعتبار في الظهور والحضور
ما ضلّ صاحبكم بالوقوف مع النفس والانحراف عن المقصد الأقصى بالميل لها
وما غوى بالاحتجاب بالصفات والوقوف معها في مقام القلب
وما ينطق عن الهوى بظهور صفة النفس في التلوين إن هو إلاَّ وحي يوحى إليه
من وقت وصوله إلى أفق القلب الذي هو سماء الروح إلى انتهائه إلى الأفق الأعلى
الذي هو نهاية مقام الروح المبين علّمه روح القدس الذي هو شديد القوى
قاهر لما تحته من المراتب مؤثر فيها تأثيراً قوياً
ذو مرّة ذو متانة وإحكام في علمه لا يمكن تغيره ونسيانه فاسْتوى
فاستقام على صورته الذاتية
والنبي بالأفق الأعلى لأنه حين كون النبي بالأفق المبين لا ينزل على صورته
لاستحالة تشكل الروح المجرد في مقام القلب إلا بصورة تناسب الصور المتمثلة في مقامه
ولهذا كان يتمثل بصورة دحية الكلبي وكان من أحسن الناس صورة وأحبهم إلى رسول الله ﷺ،
إذ لو لم يتمثل بصورة يمكن انطباعها في الصدر
لم يفهم القلب كلامه ولم ير صورته وأما صورته الحقيقية التي جبل عليها
فلم تظهر للنبي عليه السلام إلا مرتين
عند عروجه إلى الحضرة الأحدية ووصوله بمقام الروح في الترقي
وعند نزوله عنها ورجوعه إلى المقام الأول عند سدرة المنتهى في التدلي

ثم دنا رسول الله ﷺ إلى الله وترق عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة والترقي عن مقام الروح،
وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام: " لو دنوت أنملة لاحترقت " ،
إذ وراء مقامه ليس إلا الفناء في الذات والاحتراق بالسبحات.
فتدلى أي: مال إلى الجهة الإنسية بالرجوع من الحق إلى الخلق
حال البقاء بعد الفناء والوجود الموهوب الحقاني..
فكان قاب قوسين أي: كان عليه السلام مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل المنقسمة بخط موهوم
إلى قوسين باعتبار الحق والخلق، والاعتبار هو الخط الموهوم القاسم للدائرة إلى نصفين
فباعتبار البداية والتداني يكون الخلق هو القوس الأول الحاجب للهوية في أعيان المخلوقات وصورها
والحق هو النصف الأخير الذي يقرب منه شيئاً فشيئاً ويمحي ويفنى فيه،
وباعتبار النهاية والتدلي فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلاً وأبداً .
والخلق هو القوس الأخير الذي يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد الذي وهب له أو أدنى من مقدار القوسين
بارتفاع الإثنينية الفاصلة الموهمة لاتصال أحد القوسين بالآخرة وتحقق الوحدة الحقيقية في عين الكثرة
بحيث تضمحل الكثرة فيها وتبقى الدائرة غير منقسمه بالحقيقة أحدية الذات والصفات.

---

* تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت 1127 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ

والنجم سورة النجم اول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ وجهر بقرءآتها فى الحرم
والمشركون يستمعون نزلت فى شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة
ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبو لهب
فى رواية فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفينى هذا.
فى رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فانه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا
لا يقدر على السجود وفى رواية وصحت أمية بن خلف وقد يقال لامانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعا

بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا.

ومن فعل ذلك تكبراً أبو لهب ولا يخالف ذلك مانقل عن ابن مسعود رضى الله عنه

ولقد رأيت الرجل اى الفاعل لذلك قتل كافراً لأنه يجوز أن يكون المراد بقُتل مات.

وإنما سجد المشركون لأن النبى عليه السلام لما بلغ الى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى

الحق الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى

كما سبق فى سورة الحج فسمعه المشركون

وظنوا أنه من القرءآن فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين من غير ايمان

إذهم لم يسمعوا ماالقى الشيطان فى آذان المشركين وأرادوا بالغرانيق العلى الأصنام

شبهت الأصنام بالغرانيق التى هى طائر الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة إسكان الرآء ثم النون المفتوحة

أو غرنوق بضم الغين والنون أيضا او غرنيين بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركى

أو مايشبهه ووجه الشبه بين الأصنام وتلك الطيور أن تلك الطيور تعلو وترفع فى السماء

فالأصنام مشبهة بها فى علو القدر وارتفاعه

قال بعضهم:

والنجم أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافى أن "إقرأ باسم ربك" أول سورة نزلت فيها سجدة

لأن النازل منها أو آئلها ولامجموعها دفعة والواو للقسم

كقوله لا اقسم بيوم القيامة أقسم بها ليعلم هيبته فيه.

كقوله

لا أقسم بهذا البلد

يعنى مكة وكذلك قوله

وطور سينين وهذا البلد الامين

ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام لعمرك وهذا على عادة العرب فإنها تقسم بكل ماتستعظمه

وتريد إظهار تعظيمه وقيل كل موضع أقسم فيه بمخلوق فالرب فيه مضمر كقوله والنجم ورب النجم

ورب الذاريات وأشباه ذلك

والمراد بالنجم الثريا فانه إسم غالب عليها ومنه قوله عليه السلام

"ماطلع النجم قط وفى الأرض من العاهة شىء إلا رفع"

يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء.

وقال السهيلى رحمه الله : وتعرف الثريا بالنجم ايضا وبالية الحمل لانها تطلع بعد بطن الحمل وهى سبعة كواكب
ولايكاد السابع منها لخفائه وفى الحقيقة أنها إثنا عشر كوكبا
وأن رسول الله ﷺ كان يراها كلها لقوة جعلها الله فى بصره.
وقال فى عين المعانى: وهى سبعة أنجم ظاهرة والسابع تمتحن به الأبصار.
وكانت قريش تبجلها وتقول أحسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الأرض زين السماء
و كانت رحلتاها عند طلوعها و سقوطها فإذا طلعت بالغداة عدوها من الصيف
وإذا طلعت بالعشى عَدُّوها من الشتاء.

***

وأما جنس النجم وهويه كما قال تعالى إذا هوى غربه وطلوعه

فيكون المعنى أقسم الآن بالنجم وقت هوى بعد هذا الزمان

ثم إن الله تعالى أقسم بالنجم حين هوى أى وقت هويه

لأن شأنه أن يهتدى به السارى إلى مسالك الدنيا كأنه قيل:

والنجم الذى يهتدى به السابلة فى البر والجارية فى البحر إلى سواء السبيل والسمت.

---

* تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت 1224 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ *

إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ *

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ *

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ *

عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ *

مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ

يقول الحق جلّ جلاله: والنجم أي: الثريا، أو: جنس النجم إذا هَوَى إذا غرب،
أو: انتثر يوم القيامة، أو طلع
أي: أقسم بالنجم وقت غروبه أو طلوعه
وجواب القسم: ما ضلَّ عن قصد الحق صاحِبكُم أي: مُحَمَّد ﷺ،
والخطاب لقريش وما غَوَى في اتباع الباطل، أو: ما اعتقد باطلاً قط، أي: هو في غاية الهدى والرشد،
وليس مما تتوهموه من الضلالة والغواية في شيء فالضلال، نقيض الهدى، والغي نقيض الرشد،
ومرجعهما لشيء واحد، وهو عدم اتباع طريق الحق.
وقال الفخر: أكْثر المفسرين لم يُفرقوا بين الغي والضلال،
والفرق بينهما: أنَّ الغي في مقابلة الرشد،
والضلال أعم منه، والإسم من الغي: الغَواية - بالفتح - والحاصل: أنّ الغي أقبح من الضلال،
إذ لا يُرجى فلاحه وإيراده ﷺ بعنوان صاحبهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة،
وإحاطتهم خُبراً ببراءته - عليه الصلاة والسلام - مما نفى عنه بالكلية، وباتصافه - عليه الصلاة والسلام
- بغاية الهدى والرشد فإنَّ كون صحبتهم له ﷺ، ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية
لذلك حتماً وتقييد القسم بوقت الهُوى
لأن النجم لا يهتدي به الساري إلا عند هبوطه أو صعوده،
وأما ما دام في وسط السماء فلا يهتدي به، ولا يعرف المشرق من المغرب، ولا الشمال من الجَنوب.
ثم قال: وما ينطق عن الهوى أي: وما يصدر نطقه بالقرآن أو غيره عن هواه ورأيه أصلاً،
إنْ هو إلا وحيٌ من الله تعالى يُوحَى إليه، وهي صفة مؤكدة لوَحْي، لرفع المجاز،
مفيدة لاستمرار التجدُّد للوحي، واحتج بهذه الآية مَن لا يرى الاجتهاد للأنبياء - عليهم السلام —
ويُجاب بأن الله تعالى إذا سوّغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي، لا نُطقاً عن الهوى .
علَّمه شديدُ القوى أي: مَلَكٌ شديد قواه، وهو جبريل عليه السلام: فإنه الواسطة في إيراد الوحي
إلى الأنبياء، ومَن قوته أنه خلع قُرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى، وحملها على جناحه،
ورفعاه إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحةً بثمود، فأصبحوا جاثمين،

وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده أسرع من لحظة ذو مِرَّةٍ أي: ذو خصابة في عقله، ورزانة ومتانة في دينه وأصل المِرة: الشدّة، من مراير الحبل، وهو فتله فتلاً شديداً،

أو: ذو حُسن في منظره، فاستوى : عطفٌ على " علَّمه " بطريق التفسير،

فإنه إلى قوله: ما أوحى بيان لكيفية التعليم، أو: فاستقام على صورته التي خلقه الله عليها، دون الصورة التي كان يتمثّل بها كلما هبط بالوحي، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أحبّ أن يراه في الصورة التي خلقه اللهُ عليها، وكان ﷺ بحراء، فطلع له جبريلُ من المشرق، وسدّ الأرض من المغرب، وملأ الأفق، فخرّ رسولُ الله ﷺ، فنزل في صورة الأدمي، فضمّه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه,

***

قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الأصلية إلا النبي ﷺ فإنه رآه فيها مرتين مرة في الأرض، ومرة في السماء، وقيل: استوى بقوته على ما جعل له من الأمر

وهو أي: جبريل بالأُفق الأعلى أفق الشمس، أي: مطلعها، ثم دنا جبريلُ من النبي ﷺ فتدلَّى

أي: زاد في القرب، أو: استرسل من الأفق مع تعلُّق به يقال: تدلت الشجرة، ودلّى رجله من السرير،

ودلّى دلوه، والدوالي: الثمر المُعلّق.

فكان قابَ قوسين أي: مقدار قوسين عربيين والقاب: المقدار

قال قتادة وغيره: معناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر

وقال مجاهد والحسن: من الوتر إلى العود في وسط القوس، أي: فكان بين جبريل والنبي ﷺ مقدار قوسين، أو أدنى في تقديركم، كقوله

أَوْ يَزِيدُونَ

الصافات: 147

وهذا لأنهم خُوطبوا على لغتهم وفهمهم، وهم يقولون: هذا مقدار قوسين أو أدنى فَأَوْحَى إِلى عبده ما أَوْحَى أي: فأوحى الله تعالى إلى عبده بواسطة تجلّي جبريل ما أوحى من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة، وقيل: أوحى إليه:

" أنَّ الجنة مُحرّمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك "

ويمكن حمل الآية على قصة المعراج، أي: علَّمه شديد القوى وهو الله تعالى، ذُو مِرة أي: شدة ومتانة، ومنه: أسمه " المتين " ، فاستوى بنوره أي: تجلّى بنور ذاته من ناحية الأُفق،

أي: العلو فتدلّى ذلك النور فكان قاب قوسين أو أدنى

وفي البخاري

فدنا ربُّ العزة دنو يليق بجلاله ومجده

ويرجع لتجلّيه لنبيه، وتنزُّله له، وتعرّفه له، وفي حديث الإسراء عنه - عليه الصلاة والسلام

سمع النداء من العلي الأعلى: أُدن يا خير البرية، أُدن يا مُحمَّد، فأدناني ربي حتى كنتُ كما قال تعالى:

ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى

قال القشيري: ويُقال: كان بينه وبين ربه قَدْر قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى

ما كَذَبَ الفؤادُ أي: فؤاد مُحَّد عليه السلام ما رأى أي: ما رآه ببصره من صورة جبريل على تلك الكيفية، أو: من نور الحق تعالى الذي تجلّى له، أي: ما قال فؤاده لَمَّا رآه: لم أعرفك،

ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه بقلبه، كما عرفه ببصره، وقيل: على إسقاط الخافض،

أي: ما كذب القلب فيما رآه البصر، بل ما رآه ببصره حققه،

وفي الحديث: سئل ﷺ هل رأيت ربك؟

قال:

رأيت ربي بفؤادي مرتين "

حديث آخر

جعل نور بصري في فؤادي، فنظرتُ إليه بفؤادي.

، يعني أنه انعكس نور البصر إلى نور البصيرة فرأى ببصره ما رأته البصيرة،

وجاء أيضاً: أنه لما انتهى إلى العرش صار كله بصراً، وبهذا يرتفع الخلاف، وأنه رآه ببصر رأسه

وقوله عليه السلام حين سأله أبو ذر: هل رأيت ربك؟ فقال

نورَ اني أراه

وفي رواية

نورٌ أَنَّى أراه

بالاستفهام، وفي طريق آخر

رأيت نوراً

وحاصلها: أنه رأى ذات الحق متجلية بنور من نور جبروته إذ لا يمكن أن ترى الذات إلا بواسطة التجليات، كما هو مقرر عند محققي الصوفية، كما قال الشاعر:

وليستْ تُنال الذاتُ من غير مَظهرٍ ولو هُتك الإنسانُ من شدةِ الحرصِ

وقال كعب لابن عباس:

إنَّ الله قسم رؤيته وكلامه بين مُحَمَّد وموسى، فكلَّم موسى مرتين،

: ورآه مُحَمَّد مرتين وقيل لابن عباس: ألم يقل الله

لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ

الأنعام103

، قال: ذلك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره الأصلي، يعني أن الله تعالى يتجلّى لخلقه على ما يطيقون،

ولو تجلّى بنوره الأصلي لتلاشى الخلق، كما قال في الحديث:

"حجابه النور، لو كشفه لأحرقت تجليات وجهه ما أدركه من بصره" .

أَفتُمارونه أي: أفتجادلونه، من: المراء، وهو المجادلة، واشتقاقه من: مَرْي الناقة، وهو استخراج لبنها،

كأنَّ كل واحد من المتجادلين يَمْري ما عند صاحبه، أي: يستخرجه وقُرئ في التواتر: " أَفَتَمْرُونه "

أي: أفتغلبونه ولما فيه من معنى الغلبة، قال تعالى: على ما يرى فعدّى بعلىَ، كما تقول: غلبته على كذا،

وقيل: أفتمرونه: أفتجحدونه، يقال: مريته حقَّه: جحدته، وتعديته بـ " علىَ " على مذهب التضمين،

والمعنى: أفتُخاصمونه على ما يرى معانيةً، وحققه باطناً.

ولقد رآه أي: رأى محمدٌ جبريلَ على صورته الأصلية، أو: رأى ربه على تجلٍّ خاص وتعرفٍ تام،

نزلةً أخرى مرةً أخرى، والحاصل: أنه عليه السلام رأى ربه بتجلٍّ خاص جبروتي مرتين،

عند خرق الحُجب العلوية فوق العرش، عند السدرة،

وأما رؤيته عليه السلام لله تعالى في مظاهر الكائنات ففي كل حين،

لا يغيب عنه طرفة عين والنزلة: فعلة من النزول، نُصب نَصبَ الظرف الذي هو " مرّة "

عند سِدرة المنتهى الجمهور: أنها شجرة النبق في السماء السابعة، عن يمين العرش، وتسميتها المنتهى

إما لأنها في منتهى الجنة وآخرها، أو: لأنها لم يُجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الخلائق،

ولا يعلم أحدٌ ما وراءها، أو: إليها ينتهي أرواح الخلائق، أو: أرواح الشهداء،

وفي الحديث

أنها "شجرة يسير الراكب في ظلها ألف عام، لا يقطعها، والورقة منها تُظل الأُمّة، وثمرها كالقِلال الكبار"

عندها جنةُ المأوى أي: الجنة التي يصير إليها المتقون ويأوون إليها، أ

و: تأوي إليها أرواح الشهداء والصدّيقين والأنبياء

قال ابن جُزي: يعني أن الجنة التي وَعَدَ الله بها عبادَه هي عند سدرة المنتهى،

وقيل: هي جنة أخرى، والأول أظهر وأشهر.

ويؤيده ما في الحديث: " إن النيل والفرات يخرجان من أصلها " وهما من الجنة،

كما في الصحيح إذ يغشى السدرةَ ما يغشى ظرف للرؤية، أي: لقد رآه عند السدرة وقت

ما غشيها ما غشيها، مما لا يكتنهه الوصف، ولا يفي به البيان، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، استحضاراً لصوتها البديعة، أو للإيذان باستمرار الغشيان وتجدُّده، وقيل: يغشاها الجمُّ الغفير من الملائكة، يعبدون الله تعالى عندها، وقيل: يزورونها متبركين بها، كما يزور الناسُ الكعبة،

وقيل: يغشاها فَراش من ذهب، والفَراش - بفتح الفاء - ما يطير ويضطرب .

ما زاغ البصرُ أي: بصر محمدٍ ﷺ، أي: ما عدل عن رؤية العجائب التي مُكِّنَ من رؤيتها،

وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته، لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي: والله لقد رأى من عجائب الملكوت وأسرار الجبروت وما لا يفي به نطاق العبارة وقد دُوِّنَتْ هنا كُتبٌ في عجائب ما رآه ﷺ ليلة المعراج.

الإشارة: أقسم الله تعالى بنجم العلم إذا طلع في أفق سماء القلوب الصاحية،

إنَّ هذا القلب الذي طلع فيه نجم العلم بالله، وأشرقت عليه شمسُ الحقائق، لا يَضل صاحبُه ولا يغوى،

وما ينطق عن الهوى لأنه مستغرق في شهود الحق، لا يتجلى فيه إلا الحق،

إن هو أي: ما يتجلى فيه إلا وحي يُوحى من قِبل الإلهام الإلهي، علّمه شديدُ القوى، وهو الوارد الرباني، ذو مِرةٍ وشدة لأنه من حضرة قهّار، ولا يُصادم شيئاً إلا دفعه، فاستوى وهو بالأفق الإعلى

على من سماء الغيوب، ثم دنا من القلب فتدلّى، فكان من القلب قاب قوسين أو أدنى،

فأوحى الله تعالى بواسطة ذلك الوارد إلى عبده ما أوحى من علوم الحقائق والأسرار،

ومن مكاشفات غيوب الأقدار، ما كذب الفؤادُ فيما رأى لأنه حق،

لكن قهرية العبودية غيَّبت عنه تعيين وقت وقوعه ولقد رآه، أي: رأى القلبُ أسرارَ ذات الحق،

نزلةً أخرى في عالم الجبروت، الخارج عن دائرة التجليات الكونية، وهي الأسرار اللطيفة،

المحيطة في الأنوار الملكوتية والملكية، عند سِدرة المنتهى، وهي شجرة القبضة المحمدية،

التي انتهى إليها علم العلماء، وأرواح الشهداء، إذ لا يخرج عن دائرتها أفكار العارفين

عندها جنة المأوى التي يأوي إليها أفكار العارفين وأسرار الراسخين، إذا يغشى السدرة –

أي: شجرة الكون - ما يغشى من الفناء والتلاشي عند سطوع شمس الحقائق،

ما زاغ بصرُ البصيرةِ عن شهود تلك الأسرار، وما حجبه عنها أرض، ولا سماء، ولا عرش،

ولا كرسي لتلطُّف تلك العوالم في نظر العارف، وما طغى: وما جاوز العبودية حتى يطمع في الإحاطة

بعظمة كنه الربوبية، فإنَّ الإحاطة لا تُمكن، لا في هذه الدار، ولا في تلك الدار،

بل يبقى الترقي في الكشوفات، والمزيد من حلاوة الشهود أبداً سرمداً،

لقد رأى هذا القلب الصافي من عجائب ربه الكبرى، حيث وسع مَن لم تسعه أرضه ولا سماؤه

وقال الروتجبي بعد كلام: في هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه، إذ رآه نزلةً أخرى، عند سدرة المنتهى،

ظنَّ ﷺ أنَّ ما رآه في الأول لا يكون في الكون - أي: في مظهر الكون - لكمال علمه بتنزيه الحق،

فلما رآه ثانياً علم أنه لا يحجبه شيء من الحدثان، وعادة الكُبراء إذا زارهم أحد يأتون معه إلى باب الدار

إذا كان عليهم كريمً، فهذا منه سبحانه إظهار كمال حُبه لحبيبه.

وحقيقة الإشارة: أنه سبحانه أراد أن يعرف حبيبه مقام الالتباس، فلبس الأمر، وظهرَ المكرُ،

وبان الحقُّ من شجرة سدرة المنتهى، كما بان من شجرة العِناب لموسى، ليعرفَهُ حبيبُه بكمال المعرفة،

إذ ليس بعارف مَن لم يعرف حبيبه في لباس مختلفة، وبيان ذلك في قوله: إذ يغشى السدرة ما يغشى

وأبهم ما غشيه لأن العقول لا تُدرك حقائق ما يغشاها، وكيف يغشاها،

والقِدم منزّه عن الحلول في الأماكن؟! كان ولا شجرة، وكانت الشجرة مرآه لظهوره سبحانه،

ما ألطف ظهوره، لا يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يؤمنون به بعد عرفانهم به،

ولمّا فرغ من ذكر عظمة الله وكبريائه، ذكر حقارة مَنْ عُبد مِن دونه، ترهيباً وترغيباً،

فقال: أَفَرَأَيْتُمُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ

---

* تفسير الهدايه إلى بلوغ النهايه/ مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ)

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ *

إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ *

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ *

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ *

عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ *

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ *

قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ الآيات

قال مجاهد: النجم: الثريا، إذا هوى: إذا سقطت، فالمعنى: ورب الثريا، وعنه أن النجم هنا: القرآن،

إذا هوى: إذا نزل، فالمعنى: والقرآن إذا نزل من السماء الدنيا.

قال ابن عباس: والنجم إذا هوى يعني به القرآن إذا نزل من السماء الدنيا.

مثل قوله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ الواقعة: 75 أي: أقسم بنزول القرآن من سماء الدنيا.

وروى قتادة أن عتبة بن أبي لهب قال:

"كفرت برب النجم، فقال له النبي ﷺ: أما تخاف أن يأكلك كلب الله / فخرج في تجارة إلى اليمن

فبينما هم قد عَرَّسُوا إذا سمع صوت الأسد، فقال لأصحابه: أنا مأكول فحدّقوا به

وضرب على أصمختهم فناموا فجاء الأسد حتى أخذه فما سمعوا إلا صوته "

***

وقال الحسن: أقسم الله تعالى بالنجم إذا غاب.

وقال الفراء: أقسم بالقرآن لأنه نزل نجوماً.

وقيل: يراد به النجم الذي ترمى به الشياطين.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ أي: ما جار محمد عن الحق ولا مال عنه، بل هو على استقامة وسداد.

ومعنى ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ : أي: ما خاب فيها طلبه من الرحمة.

وقيل: معناه: ما صار غاوياً ولكنه رشيد سديد

يقال: غَوَى يَغْوِي مِنَ الغَيِّ، وغَوَى الفَصِيلُ يَغْوِي إِذَا لم يُرْوَ مِنْ لَبَن أُمِّهِ حَتَّى يَموتَ هَزَالاً.

ثم قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: ليس ينطق محمد ﷺ بهذا القرآن عن هواه، بل هو وحي أوحي إليه.

وقيل: هو خبر عن القرآن، أي: ما ينطق القرآن عن الهوى، دليله قوله: إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ.

فهذا هو القرآن بلا اختلاف، وهو قوله: إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ..

أي: إن هذا القرآن إلا وحي يوحيه الله عز وجل إلى محمد ﷺ مع جبريل عليه السلام،

وبين ذلك بقوله:

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ أي: علَّم مُحمَّداً هذا القرآن ملك شديد القوى هو جبريل ﷺ قال الفراء وغيره: قالت قريش إنما يقول من تلقائه فنزل تكذيبهم في هذه الآية وعلى هذا التفسير جميع المفسرين من الصحابة.

والتابعين ومن بعدهم في هذه الآية، والقوى جمع قوة، وقيل: شديد الأسباب.

ثم قال: ذُو مِرَّةٍ قال ابن عباس: ذو منظر حسن.

وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

وقال مجاهد: ذو مرة: ذو قوة، وكذلك قال سفيان وابن زيد يعني به جبريل ﷺ

وكان الحسن يقول ذو مرة: هو الله عز وجل

وتم الكلام عند قوله: ذو مرة، ثم ابتداء بالفاء فقال: فَٱسۡتَوَىٰ أي: استوى جبريل ومحمد بالأفق الأعلى

وقيل: هو الله سبحانه: أي: استوى على العرش، وكذا أهل التفسير غير الحسن على أنه جبريل

وقيل: ذو مرة: ذو صحة جسم وسلامة من الآفات وهو اختيار الطبري ومنه قول النبي ﷺ

"لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّةٍ سوى"

وقيل معناه: ذو قوة وشدة يعني جبريل ﷺ

روي: أن من قُوَّته اقتلع مدائن لوط الأربع، في كل مدينة مائة ألف من الناس بمساكنهم وأنعامهم

بقادمتي جناحه حتى بلغ تخوم الأرض السابعة السفلى، فاقتلع المدائن من أصولها حتى بلغ بهن قرب سماء الدنيا، فسمع أهل السماء صياح الدجاج ونباح الكلاب ونهيق الحمير،

ثم أهوى بها إلى الأرض ثم غشّاها بالحجارة، وهو قوله:

"جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ"

هود: 82

وهو قوله في جبريل:

"ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ"

التكوير: 20

وقوله: فَٱسْتَوَىٰ أي: فاستوى هذا الشديد القوي بصاحبكم مُحَمَّد ﷺ بالأفق الأعلى،

وذلك لما أسري به عليهما السلام، استوى هو وجبريل بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى،

وهذا القول قال به الطبري والفراء..

وفيه العطف على المضمر المرفوع من غير تأكيد، وهو قبيح عند البصريين
لأن وهو بالأفق معطوف على المضمر في فاستوى وكان القياس عند البصريين فاستوى هو،

وهو، أي: جبريل والنبي ﷺ

وقال الزجاج: الضمير لجبريل، يعني الضمير في فاستوى، وضمير " هو "كلاهما لجبريل عليه السلام،

فلا يلزم في هذا القول عطف على مضمر مرفوع لأن الضميرين لواحد لكن يكون " وهو بالأفق الأعلى "
جملة في موضع الحال من المضمر في " فاستوى " أي: استوى جبريل في حال كونه بالأفق الأعلى
والمعنى: فاستوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على صورته لأنه كان يتمثل للنبي على صورة رجل

فأحب رسول الله ﷺ أن يراه على صورته، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق،

فالمعنى: فاستوى جبريل عليه السلام في الأفق الأعلى على صورته على قول الزجاج،

وأكثر المفسرين عليه، فالمضمر الذي هو في " استوى " لجبريل وقوله " وهو " لجبريل أيضاً،

وعلى القول الأول الضمير في " استوى " لجبريل
وقوله: " وهو " / لمحمد ﷺ

وقد وقع في العدد: " فاستوى وامرأته " فهذا يدل على أن " فاستوى " يتصل بما قبله

قال قتادة: الأفق: الذي يأتي منه النهار.

وقال الحسن: أفق المشرق الأعلى بينهما.

وقوله: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ أي: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه وهو قول قتادة والحسن.

وعن ابن عباس: ثم دنا الله تعالى ذكره من محمد فتدلى إليه؛ أي: أمره وحكمه

قال أنس: عرج جبريل برسول الله صلى الله عليهما وسلم ليلة الإسراء إلى السماء السابعة

ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء به سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة (سبحانه وتعالى) فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى (إليه جل ذكره) ما شاء،

وأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته في كل يوم وليلة ثم ذكر الحديث بطوله

***

وقال الفراء: " الفاء " بمعنى " الواو " وتقديره عنده " ثم (دنا وتدلى " ، ودنا) يعني جبريل ﷺ وهو عنده مثل قوله تعالى:

"ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ"

القمر: 1 أي: انشق القمر واقتربت الساعة، لأن انشقاق القمر من علامة اقتراب الساعة

وقيل: معناه فكان جبريل من محمد صلى الله عليهما وسلم قاب قوسين أو أدنى وقاب: معناه قدر،

أو أدنى: فمعناه أو أقرب منه، و " أو " هنا جيء بها على ما تعقل العرب من مخاطباتها،

والمعنى: فكان على مقدار يقدره الرائي منكم قدر قوسين أو أقل من ذلك،

فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى الله إلى جبريل ﷺ

قال سفيان: قوسين: ذراعين، وكذلك روي عن ابن عباس.

وقال مجاهد: وقتادة قاب قوسين: مقدار قوسين

وقيل معناه: كان منه على مقدار مثل، حيث يكون الوتر من القوس أو أقل من ذلك

قال عبد الله بن عمر: دنا منه جبريل حتى كان قدر ذراع وذراعين ..

قال النبي ﷺ

"رأيت جبريل له ست مائة جناح "

وقال الكوفيون

" أو " بمعنى " الواو

وقوله: فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ أوحى الله إلى محمد ﷺ ما شاء

وقيل: أوحى جبريل إلى عبد الله وهو محمد ﷺ ما شاء الله

وقيل معنى الآية: فكان الله جل ذكره من جبريل ﷺ قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إلى عبده جبريل

ما شاء ليبلغه إلى محمد ﷺ

وقد تقدم قول من قال هو محمد قرب من ربه سبحانه هذا القرب

وروي أن النبي ﷺ سئل:

هل رأيت ربك؟ فقال: لم أره بعيني ولكن رأيته بفؤادي مرتين ثم تلا

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ

لما عرج بي مضى جبريل حتى جاء الجنة قال: فدخلت فأعطيت الكوثر ثم مضى حتى جاء السدرة المنتهى

فدنا ربك فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى

ثم قال: مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أي: ما كذب فؤاد محمد على محمد فيما رآه ولكنه صدقه،

ومن شدد فمعناه: ما كذب فؤاد محمد الذي رأى

قال ابن عباس: رأى ربه بفؤاده ولم يره بعينه، وقاله عكرمة

قال ابن عباس: اصطفى الله إبراهيم بالمَخَلَّة، واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمد بالرؤية

وقال ابن مسعود: الذي رأى فؤاده جبريل،

وقاله الحسن وقتادة قالوا: وهو الذي أراه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى.

وقوله: أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ أي: أفتجادلونه على ما يرى، وقيل: معناه أفتحاجونه على ما يرى،

ومن قرأه بغير ألف فمعناه أفتجحدونه على ما يرى يقال مراني حقي يمْرِيني مَريا، أي: جحدني

ثم قال: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ أي: رأى محمد جبريل مرة أخرى.

في هذا الموضع

على صورته قاله مجاهد.

وقاله الربيع، وهو قول ابن مسعود وروي:

أن عائشة سألت رسول الله ﷺ عن رؤية جبريل

فقال: لم أره على صورته إلا هاتين المرتين،

رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظيم خلقه بين السماء والأرض.

وقال ابن عباس: رأى ربه بقلبه، فقال له رجل عند ذلك أليس قد قال:

"لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ"

الأنعام: 103

فقال له عكرمة: أليس ترى السماء؟ فقال: بلى، قال: أفكلها ترى؟!

ومعنى سدرة المنتهى أي: عند السدرة التي إليها ينتهي علم كل عالم.

وقال كعب: هي سدرة في أصل العرش إليها ينتهي علم كل ملك مقرب أو نبي مرسل ما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله.

وعن كعب أنه قال: إنها سدرة على رؤوس حملة العرش فإليها ينتهي علم الخلائق.

وقال عبد الله: هي سدرة في السماء السادسة إليها ينتهي من يعرج من الأرض وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها.

وقال الضحاك: في سدرة المنتهى: إليها ينتهي كل شيء من أمر الله جل ذكره لا يعدوها.

وقيل هي الجنة التي آوى إليها آدم عليه السلام وإنها في السماء الرابعة.

وقيل: هي سدرة إليها ينتهي كل من كان على سنّة رسول الله، روى ذلك عن النبي ﷺ وأنه لما انتهى إليها ليلة الإسراء قيل له: إلى هذه السدرة ينتهي كل أحد خلا من أمتك على سنتك.

وروى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أن النبي ﷺ قال في سدرة المنتهى: نَبَقُها كَقِلال هَجَر

وقال الربيع بن أنس: إليها تنتهي أرواح الشهداء، فلذلك سميت سدرة المنتهى

وقال قتادة: أخبرني أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ قال:

رأيت سدرة منتهاها في السماء السابعة نَبَقُهَا كَقِلالِ هَجَرَ وورقها كأذان الفيلة يخرج من ساقها نهران باطنان ونهران ظاهران فقال: يا جبريل / ما هذا؟ فقال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات.

وعنه ﷺ أنه قال في صفتها: يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها.

وقوله: عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ أي: عند سدرة المنتهى جنة مأوى أرواح الشهداء.

قال ابن عباس: هي عن يمين العرش وهي منزل الشهداء، وقاله قتادة وغيره.

وقرأ ابن الزبير جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ بالهاء، أي جنةُ المساء عندها أي: عند السدرة.

جنَّ المساء يجنُّ: أي: سَتَرَهُ يقال جنَّه الليل وأَجَنَّه.

وأنكر هذه القراءة ابن عباس ودعا على من يقرأ بها،

وقال الفراء هي شاذة

ثم قال: إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ أي: ولقد رأى مُحَمَّد جبريل ﷺ في صورته مرة أخرى

حين يغشى السدرة ما يغشى

قال عبد الله ومسروق ومجاهد والنخعي: غشي السدرة فراش من ذهب

قال يعقوب بن زيد

سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى:

إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ

فقال: رأيتها يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله

وقال ابن عباس: غشيها رب القوة.

قال مجاهد: كانت (أغصان السدرة) لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجداً فرآها مُحَمَّد ورأى ربه بقلبه.

وقال الربيع بن أنس: غشيها نور الرب والملائكة يقعون عليها كما تقع الغربان على الشجر.

ثم قال: مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ أي: ما مال بصر مُحَمَّد ﷺ عن ما رأى ولا عدل ولا جاوز ما رأى.

قال ابن عباس: معناه ما زاغ بصر مُحَمَّد يميناً ولا شمالاً، وما طغى: ما جاوز أمر ربه.

ثم قال: لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ أي: لقد رأى مُحَمَّد ﷺ هناك

من أعلام ربه سبحانه وأدلته الأدلة الكبرى إن جعلت " من " زائدة كانت " الكبرى " نعتاً للآيات

على اللفظ أو على الموضع، وإن جعلت " من " للتبعيض كانت " الكبرى " في موضع نصب برأى،

والكبرى في الأصل نعت تقديره: لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه

قال عبد الله: رأى رفرفاً أخضر من / الجنة قد سَدَّ الأُفُق

وقال ابن زيد: رأى جبريل في خلقته التي خلق عليها في السماوات والأرض بينه وبينه قدر قوسين أو أدنى.

تفسير تفسير الجيلاني/ الجيلاني (ت713هـ) *

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ *

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ *

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ *

إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ *

أَفَرَأَيْتُمُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلأُنْثَىٰ * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ *

إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ * أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ ٱلآخِرَةُ وٱلأُولَىٰ *

وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰ.

***

وحق النجوم الثواقل الهاوية، النازلة بقلوب أرباب الإدارة من عالم اللاهوت؛

ليهتدوا بها في ظلمات التعينات إلى فضاء التوحيد وشمس الوحدة الذاتية الحقيقية

مَا ضَلَّ أي: ما انحرف وعدل صَاحِبُكُمْ الرسول المؤيد من عند الله، المستوي على صراط العدالة الإلهية عن طريق التوحيد والتحقيق وَمَا غَوَىٰ

ما ضلَّ وانصرف في سلوك سبيل الحق نحو الباطل الزاهق الزائغ

وَمَا يَنطِقُ ويتكلم بالقرآن المعجز عَنِ ٱلْهَوَىٰ

الناشئة من ظلمات الطبيعة والهيولي

إِنْ هُوَ أي: ما القرآن الذي ينزل إليه ﷺ ويتكلم هو به إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ

إليه من عند ربه، بلا تصنع له فيه، وتكلف من جانبه

بل عَلَّمَهُ عناية عليه وتكريماً، وتأييداً بشأنه وتعظيماً شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ

الذي لا حول ولا قوة في الوجود إلا منه وبه وله؛ إذ لا موجود سواه

هو سبحانه ذُو مِرَّةٍ قوة وقدرة ذاتية محيطة لعموم ما ظهر وبطن من المظاهر،

وبعد تعليم الحق إياه ﷺ وتقويته وتأييده فَٱسْتَوَىٰ

تمكن واعتدل ﷺ على صراط العدالة، وتمكن على مرتبة الخلافة والنيابة

وَهُوَ حينئذ من كمال التربية والتأييد تمكن بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ

الذي هو أفق عالم اللاهوت، ومطلع شمس الذات من مشرق عالم العمى،

الذي هو نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ثُمَّ دَنَا وتقرب إلى ربه فَتَدَلَّىٰ

وتعلق به سبحانه نوع تعلق ولحوق إلى حيث فَكَانَ قرب ما بينهما قَابَ قَوْسَيْنِ

أي: مقدار قوسي الوجوب والإمكان، الحافظين لمرتبتي الألوهية والعبودية أَوْ أَدْنَىٰ

وأقرب منهما لفناء حصة الناسوت مطلقاً في حصة اللاهوت

وبعدما صار ﷺ ما صار وقرب إلى حيث قرب فَأَوْحَىٰ وألهم سبحانه إِلَىٰ عَبْدِهِ

الذي هو سبحانه أقرب إليه من نفسه مَآ أَوْحَىٰ

من المعارف والحقائق، والمكاشفات والمشاهدات الفائضة عليه من لدنه سبحانه،

الخارجة عن طور ناسوته وبشريته، فرأى ﷺ ما رأى، وانكشف بما انكشف؟

وبالجملة: مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ أي: فؤداه ﷺ الذي هو من منهيات عالم اللاهوت، المتمكن في قلوب ذوي العناية، وأولي الألباب على سبيل الوديعة من قِبل الحق مَا رَأَىٰ وشهد حين وصوله ولحوقه بالأفق الأعلى

أَ تنكرون انكشافه وشهوده ﷺ أيها المحجوبون المحرومون فَتُمَارُونَهُ وتجادلون معه

على سبيل المراء والمكابرة عَلَىٰ مَا يَرَىٰ

12من الذوقيات والوجدانيات التي تأبى عنها عقولكم، وتعمي أبصاركم،

ولا يمكن إلقاؤها وكشفها لكم

وكيف تستبعدون وتنكرون له ﷺ أمثال هذا وَ الله لَقَدْ رَآهُ ما رآه من الشهودات

التي تدهش منها عقول العقلاء، وتتحير أوهامهم وخيالاتهم.. نَزْلَةً أُخْرَىٰ

مرة أخرى قبل عروجه ووصوله إلى الأفق الأعلى، والمقام الأدنى الذي هو اليقين الحقي،

وذلك عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ

التي ينتهي إليها ودونها اليقين العلمي والعيني

إذ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ

التي يأوى إليها أرباب العناية شوقاً إلى لقاء الله،

وهو موعد الرؤيا والعيان، ومقام التوحيد والعرفان

إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ المعهودة؛ أي: يغطي الموعد الموعود، ويحيط بها مَا يَغْشَىٰ

من التجليات الإلهية المتشعشعة حسب الشئون المتجددة، المحيرة لعيون النواظر من أرباب الولاء،

الوالهين بمطالعة وجه الله الكريم

وبالجملة: مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ أي: ما مال وانحرف بصر رسول الله ﷺ عند تعاقب التجليات الإلهية،

وترادف شئونه الغيبية، وتطوراته الجمالية والجلالية حسب أسمائه وصفاته العلية،

عن وحدة ذاته، وما يشغله شيء منه عنه سبحانه وَمَا طَغَىٰ

خرج نفسه ﷺ عند رؤية ما رأى من العجائب والغرائب عن ربقة الرقية ﷺ، وعروة العبودية،

بل التزم حينئذ بقيام ما لزم من آداب العبودية ولوازم الإطاعة والانقياد أكثر مما التزمها قبل انكشافه

والله لَقَدْ رَأَىٰ ﷺ في ليلة الإسراء مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ

..الآيات الكبرى التي هي آيات ربه الذي رباه على رؤية آياته الكبرى، ما لا يراه أحد من المكاشفين،

لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل من بني نوعه

أَ تنكرون أيها الجحادون وحدة الحق عز شأنه وجل برهانه، وانكشاف حبيبه ﷺ بوحدته

وبلوازم ألوهيته وربوبيته، ورسالته من عنده سبحانه على عموم بريته وكافة خليقته؛

ليرشدهم إلى الايمان به، ويهديهم إلى توحيده فَرَأَيْتُمُ أثبتم وأخذتم الأصنام شركاء له،

مشاركين معه في ألوهيته وربوبيته؛ يعني: الأولى ٱللَّاتَ وَ الثاني ٱلْعُزَّىٰ

وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ

مع أنها جمادات لا شعور لها ولا يصدر شيء منها

وأعظم من ذلك أنكم أثبتم له سبحانه الأولاد أخسها وأدونها، أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ الأشرف والأكرم أيها الحمقى

وَلَهُ سبحانه مع كما تنزهه عن نقيصه، اتخاذ الوالد المترتب على القوة الشهوية ٱلْأُنثَىٰ المرذولة المستهجنة

والله تِلْكَ القسمة التي جئتم بها مع استحالتها في حقه سبحانه إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ أي: لو فرض في شأنه سبحانه هذه، لكانت قسمتكم قسمة عوجاء جائزة مائلة عن العدالة؛ إذ أنتم أيها الحمقى تستنكفون عن الأنثى، وتثبتونها لله المنزه عن الأهل والولد، المقدس عن مطلق أمارات الحدوث وعلامات النقصان

وبالجملة: إِنْ هِيَ أي: ما آلهتكم التي أنتم أثبتموها، واعتقدتم شركتها مع الله إِلَّآ أَسْمَآءٌ لا مسميات لها أصلاً

بل سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ تبعاً وَآبَآؤُكُم أصالة من تلقاء أنفسكم؛ إذ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ برهان واضح،

وحجة قاطعة بل إِن يَتَّبِعُونَ أي: ما يتبع أسلافكم الحمقى إِلَّا ٱلظَّنَّ والخيال الناشئ من أوهامهم

وأحلامهم السخيفة أمثالكم أيها الجاهلون وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ أي: ما تهويه وتشتهيه نفوسهم

وَلَقَدْ جَآءَهُم ونزل عليهم حينئذ أيضاً على ألسنة رسلهم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ

النجم: 23 المصول إلى مرتبة التوحيد، فتركوها ظلماً وعدواناً، ولم يتبعوها أمثالكم أيها الحمقى

أتطمعون الشفاعة من تلك الآلهة الهلكى، وتأملون معاونتهم ومظاهرتهم إياكم أيها الحمقى؟!

أَمْ تعتقدون أن يحصل لِلإِنسَانِ جميع مَا تَمَنَّىٰ

وتأمل من اللذات والشهوات

بل فَلِلَّهِ وفي قبضة قدرته وتحت صرفه ٱلآخِرَةُ وٱلأُولَىٰ

ما جرى في النشأة الأولى والأخرى من الكرامات، يمنُّ بها على من يشاء، ويصرفها عمن يشاء إرادة واختياراً، لا يحكم عليه ولا ينازع في سلطانه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد

ثم قال سبحانه تسجيلاً على غاية غبواتهم، ونهاية بلادتهم وحماقتهم في اتخاذهم الأصنام آلهة، واعتقادهم شفعاء: ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي: كثير من الملائكة المقبولين عند الله، المهيمين بمطالعة وجهه الكريم، مع ذلك القرب والشرف ﴿ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ من الإغناء ﴿ إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾ لهم ليشفعوا عنده سبحانه ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ سبحانه خلاصهم من عباده ﴿ وَيَرْضَىٰ ﴾ بشفاعة الشفعاء عندهم لاستخلاصهم بإذن منه سبحانه

وهؤلاء الحمقى يدعون الشفاعة لأولئك الهلكى، ويعتقدونها آلهة متشاركين مع الله في الألوهية والربوبية ظلماً وعدواناً، بلا حجة وبرهان، ومن غاية عدوانهم وطغيانهم: يهينون الملائكة المكرمين المقربين، ويستحقرونهم حيث ينسبونهم إلى الأنوثة المستلزمة لغاية النقصان.

التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي/ الإمام أحمد بن عمر (ت618 هـ)

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

أيها المسبح بأعداد النجوم سبح عند نزول النجم الحقيقي الذي صار محلاً للقسم، حيث قال في كتابه المحكم: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾؛ يعني: بحق اللطيفة الخفية النازلة على محمد المصطفى ﷺ، ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾؛ يعني: ما ضل محمد ﷺ فيما اختار طاعة الله وعبادته، وما غوى فيما يأمركم به وينهاكم عنه،

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ، وما يتكلم عن هوى نفسه أبداً،

إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ؛ يعني: ليس نطقه وكلامه إلا وحياً من الله تعالى يوحي إليه،

عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ؛ يعني: علمه جبرائيل الذي هو أمين الوحي، وحظك منه أيها السالك في عالم الأنفس أن تعلم أن الله أودع فيك اللطيفة الخفية؛ وهي داعية إلى الحق اللطائف القالبية والنفسية،

والقلبية والسرية، والروحية والخفية، وقواها والوارد الذي يرد عليك عند التصفية والتزكية كان من عند الله، علمتك القوة الروحانية الشديدة على الشيطان.

ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ؛ يعني: ذي قوة معتدلة بأمر الحق عند اللطيفة الخفية، وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ ؛

يعني: محمد كان بالأفق الأعلى حين ذي قوة استواء جبرائيل والأفق الأعلى كان لمحمد ولروحانيته؛

لأن أفقه كان أعلى الأفق، ولكل لطيفة أفق إلى ما فوقه وأفق إلى ما تحته،

فلمحمد أفقان

أفق الفوق إلى الحق: وهو الأفق المبين

وأفق التحت إلى الخلق، والأفق الأعلى؛ أي: أفقه أعلى الأفق ومنتهى وصول اللطائف إليه،

فكذلك للطيفتك الخفية أفقان فاطلب أفقها، واجتهد أن تأخذ من الحق في الأفق المبين؛

يعني: بلا واسطة ولا تقنع بالستور؛ لئلا تكون ممن أكل من تحته،

وكن عالي الهمة لتأكل من الفوق والتحت ومن جميع الجهات، ثم لا تقنع بهذا حتى تصل إلى مقام تأكل منه، ولا يمكن لأحد أن يأكل من ذاته إلا بعد وصوله إلى الذات الواحدة وهلاكه فيها،

وبيان سر الهلاك في الذات يقرع باب الطلع، وأما مأمور شدة فأعبر وأعتبر

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ؛ يعني: نزل شديد القوة على اللطيفة ودنا منها فكان دنوه،

فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ مقدار قوسين أو أدنى، افهم يا سالك أن اللطيفة الخفية دنت من الحق،

فتدلت بنزولها من أفق الأزل إلى أفق الأبد حتى تصل أفق الأزل بالأبد،

وهو عبارة عن قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ، إشارة إلى: اتصال طرفي القوس عند غاية النزع،

وهذه العبارة والإشارة يدلان على وصول اللطيفة الخفية إلى الحق

على حد ما كان لأحد أن يتجاوز ذلك الحد،

والذي أشار إليه المفسرون: إن النبي ﷺ رأى جبرائيل بحيث سد الأفق قول صدق وكلام حق،

ولكن ينبغي أن يعرف اللطيفة الجبرائيلية والأفق، ويعلم أن صورته كيف سرقت الأفق وما يعني سد الأفق، وحقائق هذه الأشياء متعلقة بحد القرآن مما لا يؤذن تفسيره،

خذ من تفسير بطنه نصيب باطنك، وخذ من ظهره حظ ظاهرك؛ وهو الإيمان والإقرار مما قال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ ما أرادوا أراد رسول الله بذلك القول.

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ ؛ يعني: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ في ذلك المقام أعلى مقام الزلفى

والقربى جهراً، ما أوحى إلى سره قبل ذلك الوقت سراً، وهذا السر كشوفي ثم شهودي؛

يعني: ألهم الرب سر السالك من حيث الكشف في البداية سراً،

ثم يلهمه بعد إيصاله إلى حضرة المشاهدة جهراً؛ ليتفق بالإلهام الكشفي أنه كان من الحق سبب الوحي الجهري حالة الشهود، وهذه طريقة مبناه واضحة عند أصحاب الوصول في السير والسلوك

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ؛ يعني: في الوحي الشهودي لا يمكن للقوة المدركة أن تكذب ما رأى فؤادها،

غير أنها في عالم الكشف كانت دخيلة نظراً عليها الشبهة بإلقاء الشيطان في روعها،

أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ في المشاهدة؛ يعني: خاطبي قواك، أتنكرون على اللطيفة ما رأت في عالم الشهود؟ ويجادلها وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ يعني: اللطيفة الخفية، رأى الحق بعد نزوله من الأفق الأعلى إلى سدرة المنتهى وسدرة المنتهى ووحيه، كما أن الأفق الأعلى خفي، فيها جنة المأوى كما قال تعالى: عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ، وكل ما ذكره أهل الظاهر في تفسير سدرة المنتهى حق،

فينبغي أن يشاهد السالك في معراجه مثل ما ذكروه، وجنة المأوى اليوم موجودة بل هي معك،

فإن كنت عمرتها وزرعت فيها البذور والطيبة صارت جنة المأوى، والنار موجودة وهي معك،

فإن كنت عمرتها وزرعت فيها البذور الفاسدة صارت جهنم وهي أيضاً معك، وكلاهما في المنتهى،

ولكل أحد من الناس سدرة المنتهى حاصلة؛ لأن منتهى سره يكون إليها ولا يمكن التجاوز عنها،

فأما المخصوصون المجذوبون فإنهم جذبوا عنها بجذبات اللطف،

كما أخبرنا الصادق الصدوق ﷺ بقوله: " جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين "

لأن العامل يصل بعمله إلى سدرة منتهاه، ولا يمكن التجاوز عنها بعمله؛ لأن العمل يتعلق بالعامل،

ولا يصل أحد إلى الله بعمله إلا بتوفيقه وجذبته، ولكن يصل بعمله المخلوق إلى سدرة منتهاه؛

وهي أيضاً مخلوقة، فاجتهد في أن تصل إلى سدرة منتهى استعدادك اليوم،

وتشاهد ما هيئت نفسك في سدرتك، ولا تلتفت إليه وتوجه بالكلية شطر جناب الجبروت؛

لأن السدرة وما فيها ملكوتية.

***

تم بحمد الله

إعداد: راجى عطف مولاه

قدرى جاد

28 رمضان 1444

2024/4/7

الهرم

**